الثورة الفلسطينية في رحاب الديمقراطية

1-2

أحمد الحبيشي

منذ فوزها في الانتخابات التشريعية في اراضي السلطة الوطنية الفلسطينية تتعرض حركة المقاومة الإسلامية "حماس" لمطالب سياسية واسعة من محيطها الفلسطيني والإقليمي والدولي لا تخلو من الضغوط أو الابتزاز بحسب وصف قادة " حماس " لهذه المطالب التي تشدد على ضرورة التزام التسوية السلمية من خلال المفاوضات المباشرة بين إسرائيل وحكومة السلطة الوطنية الفلسطينية المنتخبة ، واحترام الاتفاقيات الدولية التي أبرمتها حكومة السلطة السابقة قبل فوز حركة " حماس " ، وإلغاء الدعوة إلى تدمير دولة إسرائيل التي يتضمنها " الميثاق المقدس" لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" .

و مما له دلالة عميقة أن يصدر بعض هذه المطالب من مجلس الأمن الدولي الذي طالب " حماس " بالتزام الاتفاقات والقرارات الدولية ، بالإضافة إلى الجامعة العربية التي أكدت على ضرورة التزام "حماس" بالمبادرة العربية للسلام التي أقرتها قمة بيروت العربية عام ٢٠٠٣ م .

الثابت أنّ قيادة حركة "حماس" أبدت مرونةً كبيرةً في التعامل مع هذه المطالب أو " الضغوط " حيث تضمن الخطاب السياسي والإعلامي لقيادة "حماس" بعد فوزها في الانتخابات قدراً كبيراً من المرونة والاعتدال ، لجهة التأكيد على التزام الواقعية السياسية لمصلحة الشعب الفلسطيني ، ناهيك عن ان الرسائل السياسية التي وجهتها "حماس" في اتصالاتها مع أطراف عربية ودولية أبدت استعداداً للتعاطي بواقعية سياسية مع الالتزامات والاتفاقيات الدولية فور تسلم قيادة الحكومة الفلسطينية ، بخلاف الرسائل الثورية التي وجهتها "حماس" لناخبيها أثناء الانتخابات ، وعلى النقيض من البرنامج الانتخابي لحركة " فتح " ، حيث تضمن برنامج " حماس " الانتخابي مواقف واضحة ومحددة تؤكد تمسكها بمواصلة السير على نهج المقاومة المسلحة ، وإسقاط اتفاق (أوسلو) والتعهد بعدم إجراء أية مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، إلى درجة أنّ الناطق الرسمي باسم "حماس" أعلن بوضوح عبر القنوات الفضائية اثناء الحملة الانتخابية ، أنّ "حماس" لن تجري أي مفاوضات مباشرة مع إسرائيل حتى وإن كان الأمر يتعلق بالحياة اليومية للمواطنين الفلسطينيين، مثل إغلاق المعابر على وجه التحديد، مشيراً إلى أنّ حركة "حماس" ستدرس في مثل هذه الحالات الاستثنائية عددا من البدائل التي قد تنطوي ـ بشكل إضطراري ـ على إجراء اتصالات أو مفاوضات غير مباشرة مع الدولة العبرية بواسطة طرف ثالث ، وهو ما سخر منه ، حينها ، صائب عريقات وزير شؤون المفاوضات عبر حملته الانتخابية ايضا ، مؤكدا ان " حماس " لو نجحت في الانتخابات ستفعل ما فعلته " فتح " ان لم يكن أكثر !!!

والحال أنّ المبادرة العربية بشأن السلام في الشرق الأوسط التي أقرها الرؤساء والملوك والقادة العرب في قمة بيروت عام ٢٠٠٣م ، بناءً على مبادرة تقدم بها آنذاك الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان وليًا للعهد ، لقيت تأييدًا عربيا وعالميا كاسحا ، مقابل أصوات قليلة معارضة للمبادرة ، بعضها جاء من (حماس) والحركات القومية الإسلامية التقليدية، والبعض الآخر جاء من صقور حرب الإبادة التي شنها أرييل شارون على الشعب الفلسطيني.

ثمة أصوات عربية ايضًا لم تقابل تلك المبادرة بالترحيب ، ومن بينها حركة "حماس" التي عارضت المبادرة بأسلوب حذر ومهذب على لسان الشيخ أحمد ياسين رحمه الله والذي اكتفى بالقول آنذاك : " نحن ضد هذه المبادرة إلا إذا كانت تكتيكية مرحلية تمهد الطريق لتحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر" بحسب تصريح متلفز بثته قناة " الجزيرة في ذلك الوقت ، بيد أنّ بعض المعارضين للمبادرة عبروا عن رأيهم فيها ومواقفهم الرافضة لها بطريقة غاضبة وعنترية تدل على أنّهم عاجزون عن الانعتاق من رواسب الثقافة السياسية الشمولية وطرائق التفكير والعمل الطوباوية ، إذ سارعوا إلى التشكيك والتخوين والتجريح، ومارسوا وصاية غير مفهومة على الحقيقة والقضايا الوطنية والقومية.. وهي ثقافة سياسية دوغمائية لا مستقبل لها في عالم متغير تسوده رياح التحولات الديمقراطية ، وتتعزز فيه قيم متحضرة لإدارة الاختلاف والتباين والتعدد في الآراء والأفكار والتصورات والمواقف ، من خلال الحوار والنقاش والنقد الموضوعي والتفكير الواقعي وعدم الادعاء باحتكار الحقيقة .

> المبادرة العربية بشأن السلام في الشرق الأوسط التي أقرها الرؤساء والملوك والقادة العرب في قمة بيروت عام ٢٠٠٣م ، بناءً على مبادرة تقدم بها آنذاك الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان وليًا للعهد ، لقيت تأييدًا عربيا وعالمياً كاسحاً، مقابل أصوات قليلة معارضة للمبادرة ، بعضها جاء من ((حماس)) والحركات القومية والاسلامية التقليدية، والبعض الآخر جاء من صقور حرب الإبادة التي شنها أرييل شارون على الشعب الفلسطيني !!!.

نسي أولئك الغاضبون والرافضون لمبادرة السلام العربية أنّ الزعيم العربي الخالد جمال عبد الناصر تعرض لشتائم جارحة واتهامات مماثلة ، وصلت ذروتها بخروج مسيرات حزبية في بغداد ودمشق وعمّان نظمتها الأحزاب القومية واليسارية وبعض فصائل المقاومة الفلسطينية ، بالإضافة إلى حملات إعلامية وكتابات صحفية ، احتجاجًا على قبول الرئيس جمال عبد الناصر مبادرة (روجرز) وزير الخارجية الأميركي الأسبق أواخر عام ١٩٦٩م الذي عرض حينها استعداد الولايات المتحدة للقيام بدور الوسيط في مفاوضات غير مباشرة بين الدول العربية وإسرائيل بشرط أن تعلن الدول العربية قبولها قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) الذي رفضته قمة الخرطوم بواسطة لاءاتها الثلاث الشهيرة (لا صلح – لا تفاوض – لا اعتراف) بعد حرب يونيو ١٩٦٧م!!

وكما هو معروف فقد ظلت الدول العربية لا تعترف ـ من الناحية الرسمية ـ بالقرار الدولي رقم (٢٤٢) على الرغم من انها كانت تطالب ـ رسمياً ـ بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية بشأن الصراع العربي الإسرائيلي ، واستمر الموقف العربي الرسمي يرفض القرار الدولي رقم (٢٤٢) منذ قمة الخرطوم الشهيرة بعد هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ م ، الى ان تراجعت عنه الدول العربية رسميا في قمة بيروت عام ٢٠٠٣ م ، حين أقر الرؤساء والملوك العرب مبادرة السلام العربية؟ القرار الدولي الذي رفضته القمة العربية في الخرطوم أواخر عام ١٩٦٧م ، ولم تتراجع عنه إلا في قمة بيروت عام ٢٠٠٣م ، حين أقرالرؤساء والملوك العرب مبادرة السلام العربية التي اقترحها الملك عبدالله بن عبد العزيز.

والثابت ان أبرز ما يميز المبادرة العربية للسلام هو انها تتطابق مع مضمون القرار الدولي رقم (٢٤٢) الذي ينص على ضرورة انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية التي احتلتها بعد يوم الرابع من يونيو ١٩٦٧م، ويشدد على إقامة سلام دائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط ، ويؤكد على ضمان حق جميع دول المنطقة في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها.. وقد ألزم ذلك القرار كافة الأطراف المعنية بالشروع في إجراء مفاوضات مباشرة لتحقيق السلام برعاية الأمم المتحدة.

بوسع أي محلل منصف وهو يتابع سيل المسيرات والمقالات والخطب والأحاديث التي تطالب العالم بالضغط على إسرائيل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية وفي أساسها قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢)، أن يسجل لجمال عبد الناصر أنّه كان صاحب السبق الأول في مراجعة ونقد النص القديم للخطاب السياسي العربي الذي كنّا نخاطب به أنفسنا فقط ، بعد أن عجزنا عن إقناع العالم به!!

> بوسع أي محلل منصف وهو يتابع سيل المسيرات والمقالات والخطب والأحاديث التي تطالب العالم بالضغط على إسرائيل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية وفي أساسها قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) ، أن يسجل لجمال عبد الناصر أنّه كان صاحب السبق الأول في مراجعة ونقد النص القديم للخطاب السياسي العربي الذي كنّا نخاطب به أنفسنا فقط ، بعد أن عجزنا عن إقناع العالم به!!

مالا زلت أتذكر ان إحدى الصحف الحزبية المعارضة التي تصدر في صنعاء نشرت آنذاك مقالات وبيانات غاضبة على المبادرة السعودية والتي تحولت الى مبادرة عربية في قمة بيروت عام ٢٠٠٣ م وقد استرعى انتباهي الاتفاق التام بين تلك المقالات وبين موقف شارون حول عدم الاعتراف بشرعية الرئيس الراحل ياسر عرفات وبالسلطة الوطنية المنتخبة للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة والتي تمثلها اليوم " حماس " بذات الشرعية الانتخابية التي كانت تمثلها " فتح " آنذاك ، إلى درجة ان تلك الصحيفة الحزبية المعارضة رددت بالحرف الواحد ما قاله شارون في احد مؤتمراته الصحفية التي عقدها في واشنطن عشية قمة بيروت العربية عام ٢٠٠٣ حين وصف السلطة الوطنية الفلسطينية بأنّها " سلطة ياسر عرفات " وليست سلطة الشعب الفلسطيني؟!!

> المبادرة العربية التي أقرتها قمة بيروت العربية عام ٢٠٠٣م، هي عمل سياسي مقاوم بامتياز.. والمطلوب من "حماس" بعد فوزها تجديد التزام حكومة السلطة الوطنية الفلسطينية بها، و الاستفادة من دروس الماضي والابتعاد عن التفكير الايديولوجي الدوغمائي ، والاحتكام إلى التعامل مع الواقع ومشكلاته المعقدة من خلال النقاش الرصين والتحليل الموضوعي .

الأهم من كل ذلك أنّ أحد الكُتاب العرب الناصريين كتب في مقال أعادت تلك الصحيفة الحزبية المعارضة نشره عن صحيفة " القدس العربي" التي تصدر في لندن قوله بالحرف الواحد : " أنّه في الوقت الذي كان الرئيس جمال عبد الناصر يدعو إلى تدمير إسرائيل وإلقاء اليهود في البحر، كان أقصى مطمح لإسرائيل هو الجلوس مع دولة عربية على مائدة المفاوضات"!!

لا نبالغ حين نقول أنّ المذيع أحمد سعيد وليس الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي كان يخاطب العالم بهذه اللغة الإقصائية التهريجية قبل هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م.. وكان أحمد سعيد واحداً من أبرز القيادات السياسية والعسكرية والإعلامية التي عزلها جمال عبدالناصر بسبب مسؤوليتها عن تلك الهزيمة.

من نافل القول إنّ ذلك الخطاب الإعلامي التهريجي خدم إسرائيل كثيراً ولم يخدمنا في صراعنا العادل معها ، حيث عجزنا عن إقناع أقرب حلفائنا وأصدقائنا في الدول التي تعاطفت مع قضايانا العادلة وساندتنا في صراعنا مع إسرائيل ، مثل الاتحاد السوفيتي والصين واليابان ويوغسلافيا ودول عدم الانحياز التي تضم عددًا كبيرًا من الدول الأفريقية التي ناضلت وتحررت من الاستعمار.. وقد اختلفت تلك الدول الصديقة معنا في شعار تدمير إسرائيل ، رغم أنّها قطعت علاقاتها الدبلوماسية معها تضامناً مع القضية الفلسطينية والحقوق العربية العادلة.. ناهيك عن عجزنا في إقناع المجتمع الدولي بصواب رؤيتنا لمستقبل الصراع العربي الاسرائيلي بناء على خطاب ندعو فيه إلى تدمير إسرائيل وإلقاء اليهود في البحر.

يقيناً أنّ المبادرة العربية التي أقرتها قمة بيروت العربية عام ٢٠٠٣م، والمطلوب من "حماس" بعد فوزها تجديد التزام حكومة السلطة الوطنية الفلسطينية بها، هي عمل سياسي مقاوم بامتياز.. وبهذا المعنى يقع على حركة " حماس " واجب الاستفادة من دروس الماضي والابتعاد عن التفكير الايديولوجي الدوغمائي ، والاحتكام الى التعامل مع الواقع ومشكلاته المعقدة من خلال النقاش الرصين والتحليل الموضوعي .

صحيح ان قلة من النخب السياسية الدوغمائية عارضت المبادرة العربية للسلام ـ و التي لا شك في ان " حماس" ستلتزم بها بعد تشكيل حكومتها المرتقبة ، بصرف النظر عن برنامجها الانتخابي الذي فاز في الانتخابات الأخيرة ـ بيد ان تلك النخب عارضت مبادرة السلام العربية بالردح والقدح والخطابات الانشائية والشعارات العنترية التي تنطوي على هروب مموه من مواجهة الواقع، تماماً مثلما حدث للرئيس جمال عبد الناصر في اواخر ١٩٦٩م ، حين تجاوز نصوص خطاب قمة الخرطوم التي رفضت قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢).

في عام ١٩٤٧م رفضت الدول العربية قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم وإنشاء دولة إسرائيل ودولة فلسطين.. وبعد أكثر من نصف قرن تطالب هذه الدول بحقوق الشعب الفلسطيني المحددة في ذلك القرار، وبالقدس الشرقية التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧م كعاصمة لهذه الدولة، بينما كان قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧م يضع القدس كلها ضمن المساحة المخصصة لدولة فلسطين قبل أن يخسر العرب جزءها الغربي في حرب ١٩٤٨م بعد رفضهم قرار التقسيم !!.

لقد خسرنا مشروع تدمير إسرائيل.. وخسرنا معارك التنمية والتقدم العلمي والديمقراطية وحقوق الإنسان ، واصبحنا نسمع من يشدد على ضرورة " العودة الى نمط حياة الأسلاف و((الإكتفاء بنخيلنا وتمرنا ولبننا)) بحسب فتوى أطلقها الشيخ القرضاوي قبل اسبوعين عبر قناة ((الجزيرة)) القطرية .. فيما أصبحت إسرائيل دولة صناعية ونووية تغزو أسواقنا بمنتجاتها الكهربائية والإليكترونية المهربة ، وتهدد أمننا القومي بأسلحة الدمار الشامل.. فهل تغامر حركة ((حماس)) مرة أخرى بمعارضة مبادرة قمة بيروت العربية للسلام ، والتضحية بالمكاسب التي حققتها الثورة الفلسطينية بالوسائل العسكرية والسياسية منذ اربعين عاما ونيف قبل ان تولد ((حماس)) ، وما يترتب على ذلك من مواصلة السير على نهج الخسائر والضياع ، ثمّ نعود لنستنجد بهذه المبادرة والمكاسب مرةً أخرى بعد وقوع كوارث جديدة لا سمح الله.؟ .. وهو ما سأتناوله في الجزء الثاني من هذا المقال في الاسبوع القادم بإذن الله .

نقلا عن / ((٢٦ سبتمبر))

الحسين في المزاد العاطفي والأسطوري

محمود كرم*

في مثل هذه الأيام من شهر محرم من كل عام تحيي الطائفة الشيعية ذكرى عاشوراء عبر جملة من الشعائر والطقوس الكرنفالية الموغلة في إظهار الحزن والبكاء على الحسين نجل الإمام علي رابع الخلفاء بعد الرسول (ص) وتتمثل تلك الشعائر في إقامة مجالس العزاء ولبس السواد ولطم الصدور وفي بعض البلدان يتم ضرب الرؤوس بالسيوف واسالة الدم الغزير من مقدمة الرأس انتصاراً له من قاتليه بينما هم قاتلوه الحاليون..!!.

بداية لا أنطلق في هذا الموضوع من خلفية طائفية مقيتة حتى لا يفرح الطائفيون من الطرف المناهض للطائفة الشيعية والذين قد يجدون في هذا الموضوع زاداً لهم في الصراع الطائفي المحتدم منذ مئات السنين بينهم وبين (أخوتهم) في الدين من الشيعة وكذلك لا أريد من الشيعة أن يفرحوا أو يحزنوا لأنهم ربما يضعونني في خانة (النواصب) الجدد بسبب موضوعي هذا وأقول لهم أنني شخص ينتمي إلى عائلة شيعية معروفة بولائها الشديد لآل البيت ولذكرى عاشوراء الحسين.

أكتب هذا الموضوع انطلاقاً من إيماني العميق بأن الحسين ليس ملكاً للشيعة أو لأي طائفة دينية أخرى وكنتُ وما زلتُ أجد في الحسين رمزاً إنسانياً لمقاومة الاستبداد ومناصراً للقيم الإنسانية والعدالة والكرامة وكل ما له علاقة بالحرية ورفض الظلم ولكني في مقابل ذلك لا علاقة لي بالطريقة السطحية والاستعراضية التي يتم فيها التداول مع قضية الإمام الحسين عند الكثيرين من الطائفة الشيعية.

اختزال الحسين الرمز في مجرد هلوسات من اللطم والبكاء والسواد وضرب الرؤوس والتركيز على هذه الجوانب العاطفية تفريغ للجوانب المضيئة والمضامين الإنسانية في قضية الإمام الحسين ..

البعض من الشيعة يعتقد في عقله الباطني وربما في ثقافته المذهبية أن تعاطفه مع الحسين لأنه نجل الإمام علي الذي اغتصبت منه الخلافة في العهود الأولى بعد وفاة النبي (ص) وليس تعاطفه مع قضية الحسين بسبب أنه يمثل رمزاً إنسانياً ضد كل أشكال الظلم والقهر والاستبداد حينما رفض مبايعة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية ، وقد تشكلت هذه الثقافة التي حشرت الحسين قسراً في زاوية ضيقة ورؤية قاصرة من خلال بعض الخطب التي يتم تداولها بسطحية وقشرية من على المنابر الحسينية في شهر محرم ..

وكذلك تشكلت ثقافة في المعتقد الشيعي تجد أن الحسين ذهبَ إلى حتفه بأمر من الله عندما يرددون مقولته التي ينسبونها له (شاء الله أن يراني قتيلاً) ولا نعرف ما الحكمة من أن يرسل الله إنساناً ما إلى حتفه لمجرد أن يراه قتيلاً ومنزوعاً من إرادته الحرة في تنفيذ ما يراه صواباً..!!

وهذا الأمر يجرنا إلى الحديث الذي يعتقد به البعض من الشيعة من حيث أن الأمور جرت في واقعة كربلاء كما أراد لها الله وبالتالي تجريد الحسين من إرادته وحريته في رفض مبايعة يزيد وكأنّ ما قامَ به الحسين لا يدخل ضمن المقاييس البشرية التي يجب أن تكون مثالاً يحتذى وفي هذا الصدد يقول المفكر الإيراني (صالح نجف آبادي) :

«علينا ان نقيّم ما يقوم به الإمام وفق الأسس والمعايير الطبيعية والاعتيادية حتى يكون قدوة لنا نقتدي به، ولكن عندما نقيم هذه الأعمال على أسس ومعايير غير طبيعية فإنها لن تكون لنا قدوة، بل يكون الأمر إعجازاً يخرج عن دائرة الرغبات الاجتماعية والأحداث الطبيعية فلا يمكن لنا تحقيق ذلك ولا يمكن أن يكون هذا العمل نموذجاً نقتدي به».

لذلك أقول أن اسباغ الأمر الإلهي على تصرف الحسين ينزع عنه بشريته التي تستند على ارادته الحرة واختياره السليم في الحياة ويضعه في المقاييس الغيبية التي لا دخل له فيها ومعها يستحيل أن يغدو قدوة في عمله البطولي الرافض لسلطة الحاكم الجائر ..

وعودة إلى مظاهر السطحية في تناول قضية الحسين التي نجدها تستعر بمسلكيات بعيدة عن المنطق والعقلانية عبر جملة من الشعائر الحسينية الموغلة في تعذيب الجسد وتغذية المشاعر العاطفية والتعويل عليها في تجديد ذكرى عاشوراء ..

ولا أدري ما علاقة أن نحيي ذكرى الحسين من خلال ضرب السلاسل والسيوف ولطم الصدور والمبالغة والغلو في إظهار هذه الطقوس.

والغريب إننا نسمع من الجموع التي تحتشد في مناسبة عاشوراء الصيحات التي تنطلق بقوة وتهتف بالفداء للحسين ولا أدري أي حسين بالضبط يقصدون ، هل هو حسين المباديء الرفيعة الذي آمن بالحريات والكرامة وتحرير الذات من الخزعبلات والأوهام وبناء الإنسان الحر. أم حسين اللطم والبكاء والسواد والتطبير ، ووجدت بعض الجماعات من الشيعة فرصة مناسبة للترويج لبضاعتهم من الشعارات التي لا علاقة لها من قريب أو بعيد بجسد الحسين المدمى وبرأسه الشريف الذي رفعه الظلمة فوق الحراب وطافوا به في أكثر من مدينة ولا علاقة لها بالقيم التي نادى بها الحسين فوق تراب كربلاء ، وبعضهم أخذ يستغل الحسين للترويج لأجندته السياسية وتوظيفه عمداً في معاركه السياسية مع قوى الصهيونية والامبريالية وأتذكر في هذا الصدد الدعوة التي وجهها قائد حزب الله اللبناني (حسن نصر الله) للشيعة العراقيين في مناسبة عاشوراء قبل عامين لمواجهة القوات الأمريكية هناك في استغلال سياسي لذكرى الحسين الذي يأتي من أعمق نقطة في الوجع الإنساني وقد نما إلى سمعي أن بعض الخطباء في الكويت هذا العام فتحوا (المزاد) على الحسين بالقضية الدنمركية التي تزامن حدوثها مع دخول شهر محرم.

وذهبت بعض المفاهيم الثقافية التي يتم تكرارها كل عام من شهر محرم من على المنابر ويتزعمها مجموعة من الخطباء البعيدين عن جوهر قضية الحسين والتفكير فقط في التكسب المادي من واقعته المأساوية من خلال التركيز فقط على البكائيات واذكاء نار العاطفة التي تأخذ من وقت المحاضرة الكثير إلى تجذير مفهوم (المذهبية) الضيقة في فكر الشيعة حينما يتم اضفاء الصبغة المذهبية قسراً على الحسين وجعله محصوراً في هذه الزاوية الضيقة.

وإلى اليوم تطرح حادثة كربلاء في معظم الحسينيات والمنتديات وفق نظرة (مذهبية) وغارقة في الجوانب العاطفية الجياشة بعيدة عن القيم الإنسانية العظيمة التي ناضل الحسين في الدفاع عنها ويتم الحديث عنها (اسطورياً) ووفق المقاييس الغيبية البعيدة عن منطق العقل والتي يجب أن تكون بعيدة في مفهومهم عن إرادة الإنسان وقراره الحر ..!!.

ولا ندري لماذا لا يتم استخلاص قيم التسامح من الحسين في معركته ضد أعدائه والذين هم في الأساس أعداء الحرية والحياة اليوم حينما تكالبوا على قتله وتمزيق جسده الشريف حينما هتف في أرض كربلاء في وجه المتربصين بقتله فقال لهم : أنني أأسف على حالكم لأنكم ستدخلون النار بسببي ، فلم يلجأ الحسين للتشفي من أعدائه ولم يدعُ عليهم بالنار والهلاك بل كان يتمنى لهم الخير ويحزن على حالهم وهو تحت حرابهم وسيوفهم ، بينما تصوره بعض الأدبيات الحسينية المنبرية على أنه قد أخذ بثأر جده وأبيه عبر السيف والقتال ..

الحسين ذاكرة محمومة بتفاصيل انتصار الإنسانية على الاستبداد وقمع السلطات وهي بذلك قد تجاوزت الماضي وسكنت الحاضر لتستوطن المستقبل ومن المؤسف جداً أن يتم حصره في الخرافات والغيبيات والأسطرة والمزايدات السياسية والسواد واللطم وضرب الرؤوس بالسيوف .

* كاتب كويتي

«حماس» ليست «حماس..تان» وفلسطين ليست أفغانستان

علي بدوان*

كسرت اجتماعات القاهرة الحمساوية الكثير من المراهنات والتوقعات، التي كانت ترى بأن حركة حماس عصية على استيعاب ظروف انتقالها من موقع المعارضة، ذات الوزن الكبير الى مواقع السلطة المسؤولة. فاجتماعات القاهرة التي ضمت لأول مرة منذ فترة زمنية طويلة القيادات الأولى للحركة في الداخل والشتات تحت سقف واحد، خرجت بنتائج ايجابية، تشير الى مدى استيعاب الحركة لدروس المرحلة، ومنها ضرورة التكيف في خطابها وموقفها العملي مع المتغيرات القائمة على أرض الواقع من دون جنوح أو تطاير.

وعلى هذا الأساس جاء الخطاب الايجابي البراغماتي المسؤول، والتصريحات المتوازنة التي أطلقتها حركة حماس على لسان العديد من رموزها في فلسطين والشتات، خصوصاً بعد اجتماعات القاهرة، والداعية الى هدنة طويلة المدى مع الاحتلال الاسرائيلي، والى بناء حوار ايجابي مع الادارة الأمريكية وفتح القنوات معها بشكل علني بدلاً من ابقائها في فلك كواليس الدبلوماسية السرية، الا أن الأخيرة بادلت الموقف «الحمساوي» الفلسطيني بمزيد من لغة الاستكبار والطغيان، وبالخطاب السياسي العدواني الفج، المليء بمفردات الانحياز لدولة الاحتلال الاسرائيلي. واستتباعاً مع المواقف العقلانية لحركة حماس، وفي ظل النتائج التي أفرزتها الانتخابات الفلسطينية للمجلس التشريعي، سواء رضي أم لم يرضَ بها البعض في مراكز القرار الدولية المؤثرة، فإن الخطاب المتوازن يدفع الأوروبيين للحذر من تحمل مقاطعة «حماس» أو ترك الأمور بيد أميركا وإسرائيل. فالرأي العام الفلسطيني، الذي كان مع السلطة الوطنية الفلسطينية رغم مشكلاتها الكثيرة، هو من انتخب حركة حماس. ففي الوقت الذي بدأ فيه الإسرائيليون وبخاصة من صفوف اليمين الصهيوني، يزايدون في مهاجمة حركة حماس، آملين الحصول على أصوات أكثر في الانتخابات القادمة للكنيست السابعة عشرة المقرر اجراؤها في مارس (آذار) ٢٠٠٦، سارع الأميركيون للتضامن مع إسرائيل، ومطالبة حركة حماس بالاعتراف بها، وإلقاء السلاح بحسب اتفاقيات (أوسلو) بعد أن صارت في موقع المسؤولية الأولى عن السلطة الوطنية الفلسطينية.

وبالطبع، فإن القول المشار إليه لا يعني البتة أن دول الاتحاد ومجمل الدول الأوروبية تنهج جميعها سلوكاً سياسياً عادلاً على درجة مقبولة بشأن قضايا العرب في صراعهم مع الاحتلال التوسعي الصهيوني. لكن علينا أن نلحظ بأن تطور الدور الأوروبي يرتبط بالضرورة بالتطور الموازي على الجانب الفلسطيني ككل، من حيث تقديم حركة حماس خطاباً سياسياً متوازناً، يأخذ بعين الاعتبار الوقائع القائمة على الأرض، وينزع المبررات التي تسوقها الادارة الأمريكية بشأن حركة حماس ذاتها، التي تصنفها الولايات المتحدة باعتبارها حركة ارهابية أصولية، ونسخة فلسطينية اسمها «حماس..تان» من «طالبان أفغانستان»، كما هو حال مجموعة أبو مصعب الزرقاوي. وعليه فإن تصريحات عضو المكتب السياسي لحركة حماس موسى أبو مرزوق في القاهرة مؤخراً، والتي أكد فيها «التزام حماس بالاستحقاقات الدولية المترتبة على السلطة الفلسطينية والاحتفاظ بحق المقاومة المشروعة»، تشير الى تمايز التيار الاسلامي الفلسطيني المقاوم عن التيارات الاسلامية المتطرفة، كما يشير الى اللغة المسؤولة التي بدأت تعطي اطلالاتها على لسان القيادات الأولى في حركة حماس.

*عن / ((الشرق الأوسط))